المحاضرة الثانية: تاريخ الجمال والظاهرة الفنية

- **أهداف المحاضرة 02**
- **الكشف عن المقاربات التاريخية لظاهرة الفنية**
- **معرفة تاريخ الجمال والفن**

الجماليات أو علم المحاسن علم الشهوات والزين أو الاستاطيقا (aesthetics) أحد الفروع المتعددة للفلسفة، لم يعرف كعلم خاص قائم بذاته حتى قام الفيلسوف بومجارين (1762 —1714) في أخر كتابه تأملات فلسفية في بعض المعلومات المتعلقة بماهية الشعر 1735؛ إذ قام بالتفريق بين علم الجمال بقية المعارف الإنسانية وأطلق عليه الأستاطيقا وعين له موضوعا داخل مجموعة العلوم الفلسفية، وهناك من قال بأن الجماليات فرع من فروع فلسفة التعامل مع الطبيعة والجمال، الفن والذوق علميا وعرفت على أنها دراسة حسية أو قيم عاطفية التي تسمى أحيانا الأحكام الصادرة عن الشعور والباحثون في مجال تحديد الجماليات اتفقوا بأنها التفكير النقدي في الثقافة والفن والطبيعة، واليونان كانوا يرون أن الإله يجمع بين الجماليات البشرية الكاملة، وأنه المثال المتكامل السامي للإنسان.

فالمقاييس الجمالية عند السوفسطائيين مثلا؛ هي مقاييس ذاتية تتغير من فرد لآخر إذ "لا يوجد جميل بطبعه إذ يتوقف الأمر على الظروف وعلى أهواء الناس وعلى مستوى الثقافة والأخلاق".

وهو ما يخالفهم فيه سقراط (469 ق.م- 399 ق.م) الذي يقول بموضوعية جمال الأشخاص"، كما أن الجمال "ومصدر هذه الفكرة لديه هو أن العقل الإنساني لا يتغير بتغير حسبه- هو ما يحقق النفع والغاية الأخلاقية.

ينطلق أفلاطون (427 ق.م-347 ق.م)، في فهمه للجمال من فلسفته المثالية، فيرى أن الجمال في عالم المثل وهو غير موجود في العالم- جمال مطلق، بينما جمال الأشياء فهو نسبي، ذلك أن الأشياء في رأييه ليست جمالية جمالا مطلقا، وإنما تكون جميلة عندما توضع في موضعها الصحيح، وإلا فإن جمالها سيكون جمالا عارضا لا غير، وبالتالي يكون الشكل لا المضمون هو ما يحدد جمال الشيء من عدمه.

كما يفصل أفلاطون الجمال عن المنفعة ويربطه بالخير، عكس أرسطو (384 ق.م-

322 ق.م) الذي يقر باستقلالية الخير عن الجمال، وهو "يرجع جمال العمل الأدبي الفني إلى نجاح المحاكاة بغض النظر عن الشيء المحاكي جميلا كان أم قبيحا"، أي أن مهارة المبدع هي التي تحدد وتوجه الحكم على الشيء بالجمال أو القبح، مع مراعاة التناسق والنظام بين جزئياته.

وخلال العصور الوسطى فسر أفلوطين (205 م– 270 م) الجمال تفسيرا صوفيا، حيث عده "حقيقة علوية لها طبيعة نورانية متحدة بذات الإله، وهذه الحقيقة تمتد في الأشياء إلى أن تظهر ظلالها التي ندركها بالحواس"، بمعنى أن جوهر الجمال لا يكمن في الجمال المدرك عن طريق الحواس، وإنما الجمال الحق هو الذي تكون الروح مصدرا له.

وسعت الكنيسة ممثلة في القدس سانت أوغسطين (354م– 340م) إلى تأكيد فكرة أن الله الخالق هو مصدر الجمال في الكون"، كما اعتبر جمال الشيء راجع لكون أجزاءه تتشابه وينظمها انسجام واحد".

أما عند العرب فمن الواضح أن العرب القدامى قد عرفوا الجمال، ممثلا في الأشياء المحسوسة كجمال المرأة والخيل والبيداء إلخ، وتجسد الجمال المعنوي لديهم وإن لم تكن معرفتهم به مبنية على فكر واع، في الصفات المعنوية الإيجابية كالكرم والشجاعة والمروءة إلخ، كما تثبت مدونات أدباءهم عبر العصور تذوقهم العالي للجمال. وبالرغم من أن النقاد العرب لم يخلفوا نظرية جمالية، إلا أنهم وقفات تبرز وعيهم الجمالي.

يرى الجاحظ (159هـ255—هـ) الفن من قيمة الشكل الفني للنص على حساب مضمونه، لأن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج... وفي صحة الطبع وجودة السبك".

بينما أعتبر أبو حامد الغزالي (450 هـ) الجمال الظاهري من شأن الحواس والجمال

الباطن من شأن البصيرة، مفضلا الثاني عن الأول، فلا يتساوى من يحب لوحة فنية لجمالها الظاهري بمن يحب شخصا صالحا لجماله الباطن.

ويأتي مسكوية (320 هـ) مماثلا لما يعتقده الباحثون العرب، إذ ذهب إلى أنه أي الجمال- "كما في الأعضاء وتناسب بين الأجزاء مقبول في النفس"، فيقدر ما تخاطب الأشياء شعور الإنسان حكم عليها بالجمال، شرط توفر الانسجام والتناسق بين عناصرها.

خلاصة ما سبق، أن أهم إشكال طرحته مسألة الجمال والفن سواء عند العرب أو الغرب من قبلهم هو: من الجمال حقيقة قائمة في الذات المدركة، أم في الأشياء الخارجية؟ والواقع أنه من غير المعقول فصل الأمرين عن بعضهما، حيث لا يمكن الشعور بالجمال في غياب موضوع خارجي، كما لا يمكن أن ينعكس جمال الشيء الخارجي في النفس ما لم تكن هذه النفس خبيرة ومتذوقة للجمال.

يجمع الباحثون على أن علم الجمال والفن كان في بدايته وقبل أن يتحول إلى علم- فكرا فلسفيا يهتم بمعرفة ما إذا كان الجمال متواجد في ذات الأشياء أم في العقل المدرك، وبذلك يكون هذا العلم قديم ومحدث في آن واحد.